

دور حركة الترجمة ببيت الحكمة العباسي في الحفاظ على التراث اليوناني من الضياع

The role of the translation movement at the Abbasid House of Wisdom in preserving Greek heritage from loss

أحمد جلايلي¹

Ahmed DJELAILI

جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)

djellailiahmed@univ-adrar.edu.dz

تاريخ النشر: 2021/10/19

تاريخ القبول: 2021/05/05

تاريخ الاستلام: 2024/12/31

ملخص:

أدت "بيت الحكمة" التي أسسها خلفاء الدولة العباسية دوراً مهماً في تعريب وتنقيح التراث اليوناني، وقد ركز المترجمون المسلمون على كتب الحكمة التي تشكل: الفلسفة والفلك والرياضيات والطب ومختلف العلوم العقلية الأخرى، نظراً لإحساسهم بمدى تأخرهم في تلك المجالات، وقد أغفلت الترجمة عن تعريب الكتب السياسية التي أنتجتها تجارب اليونان ككتاب "السياسة/الجمهورية" لأفلاطون، وكتاب السياسة لسقراط. وكتاب "سر الأسرار"، لأن نقل التراث السياسي منه يتعارض مع توجهها السياسي الوراثي، وأغلب الكتب اليونانية المترجمة في بيت الحكمة عادت إلى الغرب عن طريق مدرسة طليطلة بالأندلس ومدرسة صقلية وإيطاليا، وأغلب الناشطين في عملية النقل هذه هم إما يهود صرح أو يهود متنصرين، وقد عرف الغرب كتب اليونان القديمة مجدداً عن طريق أكبر مفكر مسلم وهو ابن رشد، وبذلك يكون للمسلمين الفضل في الحفاظ على التراث اليوناني من الضياع.

كلمات مفتاحية: الترجمة، بيت الحكمة، العباسي، التراث، اليوناني، الحفاظ.

Abstract

The House of Wisdom, founded by the Abbasid caliphs, played an important role in the Arabization and revision of the Greek heritage. Muslim translators focused on the books of wisdom that constitute philosophy, astronomy, mathematics, medicine and various other mental sciences: Philosophy, astronomy, mathematics, medicine and various other mental sciences, given their sense of the extent of their backwardness in those fields. The translation neglected to Arabize the political books produced by Greek experiments such as Plato's "Politics/Republic", Socrates' "Politics" and "The Secret of Secrets". Most of the Greek books translated in the House of Wisdom returned to the West through the school of Toledo in Andalusia and the school of Sicily and Italy, and most of the activists in this transfer process are either Jews of Zion or converted Jews, and the West knew ancient Greek books again through the greatest Muslim thinker, Ibn Rushd, thus giving Muslims credit for preserving the Greek heritage from being lost.

Keywords: Translation, House of Wisdom, Abbasi, Heritage, Greek, Preservation.

تعتبر الترجمة عامل من عوامل حوار الثقافات ووسيلة للتعارف بين الأمم والمجتمعات، ومن خلال الترجمة يمكن نقل المعارف من أمة إلى أخرى ومن لغة إلى لغات أخرى وبذلك تنتقل التجارب والخبرات وينتج عنها تلاقح الحضارات؛ وقد قامت الترجمة بدور أساسي في العصر العباسي، حيث عملت "بيت الحكمة" البغدادي بتعريب العلوم اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية ولم يكتفى المترجمون بذلك فقط بل عملوا على شرحها وإثرائها، ومحاولة تجسيد ما جاء فيها على أرض الواقع كتشييد المراصد الفلكية، ومن أشهر المترجمين الذي برزوا في ذلك العصر: حنين بن اسحاق الذي عد بحق شيخ المترجمين بلا منازع، الذي أتقن عدة لغات منها: السريانية واليونانية والعربية، لذلك اختص بترجمة الكتب اليونانية والسريانية، وساعده في المهمة كل من: ابنه وابن أخته حبش ابن الحسن، ومن ترجماته: شرح أرسطو وكتب جاليلوس وأبقراط وديقوريدس وكتاب السياسة لأفلاطون والمقولات والخلقيات والطبيعات لأرسطو. ومجموعها خمسين كتابا. وكان الخليفة المأمون يعطيه وزن ما ترجمه ذهباً.

بذلك يكون للعرب الفضل الكبير على الأوروبيون في الحفاظ على العلوم اليونانية من الضياع عن طريق ترجمتها إلى اللغة العربية في بيت الحكمة العباسي، ثم نقلوها بعد ذلك لأوروبا عن طريق كل من: الأندلس وصقلية، بعد احتكاك الأدباء والمترجمين الأوروبيين بنظرائهم العرب في المنطقتين، فترجموا الكثير من المعارف التي ضاعت أصولها من اللغات اللاتينية في خضم الحروب بين ملوك أوروبا، وبفضل تلك الكتب استطاع الأوروبيون إحداث النهضة الحديثة.

تتمحور إشكالية الموضوع حول مدى مساهمة المسلمين في المحافظة على التراث اليوناني من الضياع، ومدى إسهام ذلك التراث في إحداث النهضة عند المسلمين وعند الأوروبيين عن طريق الأندلس وصقلية. والفرضية المتوقعة هي مساهمة المترجمين المسلمين في تعريب الكتب اليونانية والعمل على تصحيح الأخطاء الواردة فيها وكذلك تفسيرها والعمل بما ورد فيها من تقنيات وعلوم، ثم بعدها نُقلت تلك الكتب والعلوم عبر مراحل إلى كل من صقلية والأندلس عبر بلاد المغرب الإسلامي، حيث تأثر بها الغربيون وخاصة العلماء اليهود فعملوا على ترجمتها إلى اللغة اللاتينية والإسبانية الدارجة، لغرض التخلص من سيطرة الكنيسة على الحياة العامة في أوروبا، فأحدثوا بذلك النهضة الأوروبية الحديثة؛ وقد رسمت أهدافا للبحث ومن أهمها الوصول إلى نتيجة علمية مفادها مساهمة بيت الحكمة العباسي في الحفاظ على الكتب اليونانية من الضياع؛ ومن أجل ذلك كله اتبعت المنهج التاريخي لمعالجة الموضوع والذي يعتمد على الوصف والتحليل والاستنتاج.

2. بيت الحكمة العباسي التأسيس والأدوار

1.2 تأسيس بيت الحكمة:

نظرا لغلاء ثمن الكتب المخطوطة فقد عنى الخلفاء العباسيون بالمكتبات كأداة لنشر العلم، ومن ذلك أن قصورهم كانت تزين بخزائن تحوي العديد من الكتب، ويُعتبر الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)¹ هو المؤسس الأول لفكرة انشاء

¹ - هو عبد الله (أبو جعفر المنصور) بن محمد بن علي بن عبد الله، وأمه سلامة بنت بشير البربرية، كان طويل القامة، أسمر اللون، خفيف اللحية، رطب الوجه، وعينه لسانان ينطقان، وكان نقش خاتمه: "إتق الله تزد فتعلم"، بوع بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس، وكان يومئذ بمكة المكرمة، وقد أخذ

"بيت الحكمة البغدادي"، فقد بذل جهداً في جذب الأطباء النساطرة إلى عاصمته بغداد، وحثهم على ترجمة الكثير من كتب في الطب والنجوم والهندسة والآداب، حيث ترجم له "جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري" مؤلفات عديدة في الطب من اليونانية إلى العربية، فخصص المنصور خزانات في قصره لهذه الترجمات ولغيرها من المخطوطات النفيسة (خضر أحمد، 2013، صفحة 28).

كانت مخطوطات ودفاتر العلم طيلة حكم الخليفة المنصور (136-158هـ/754-775م) تُحفظ في قصر الخلافة في بغداد، ولما اعتلى هارون الرشيد¹ (170-193هـ/786-808م) عرش الخلافة العباسية اعتنى بعلوم الحكمة، فأضاف إلى خزنة جدّه المنصور، ما أجمع له من الكتب المترجمة والمؤلفة، فتوسعت بذلك الخزنة الأولى وأصبحت عدّة خزائن -أقسام- (الدروبي، 2007م، الصفحات 14-42). حتى ضاق بها المكان بالقصر، فعمل الخليفة الرشيد على إخراج تلك الكتب والمخطوطات إلى خارج القصر، لتتكون بذلك في بغداد مكتبة عامة (عمومية) مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم، فأسس الخليفة بذلك داراً رحبة فخمة سماها "بيت الحكمة" تقديراً لجلال رسالتها، ونقل إليها كل الكتب التي كانت في القصر (خضر أحمد، 2013، صفحة 29).

تُوصف "بيت الحكمة" بأنها بناية كبيرة تحوي عدداً من القاعات والحُجرات الواسعة، موزعة في أقسام الدار، وتضم مجموعة من خزائن الكتب، في كل خزنة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التي تُنسب في الغالب إلى مؤسّسيها، كخزانة الرشيد وخزانة المأمون². وكان يقصدها العلماء من كل المناطق والأصقاع فيقيمون بها، ويحصلون على الكتب بسهولة، ويتعلمون منها صنوف العلوم والمعرفة (المنان، 2009، الصفحات 55-60).

توسعت البناية (بيت الحكمة) وأصبحت تشمل عدّة خزائن -أقسام- وتم تعيين فنيين مختصين للإشراف عليها، وضمت عدة مترجمين يتولون ترجمة مختلف الكتب إلى العربية، وكذلك ضمت نسّاخون يشتغلون بنسخ الكتب التي تُترجم وتُؤلف، وأصبح لها مجلدون يُجلدون الكتب، ويعنون بزخرفتها وتزيينها لتظهر بأجمل حُلة، هكذا أصبح لبيت الحكمة دوائر علمية متنوعة ومختصة، لكل منها علماءها ومترجموها، ومُشرفوها يتولون أمورها (الدروبي، 2007م، الصفحات 41-42).

بذلك يكون الخليفة الرشيد (170-193هـ/786-808م) هو الذي بدأ تلك الحركة العلمية في الدولة العباسية، فحشد الكتب اليونانية والفارسية في مكتبته الخاصة بالقصر وعربها من اللغات الأصلية. وأوكل إلى عددٍ من العلماء أمر بيت الحكمة فعهد إلى "الفضل بن نوبخت" العناية بتسيير قسم الكتب الفارسية، وإلى "يوحنا بن ماسويه" (ت 243هـ/857م) أمر إدارة قسم الكتب الإغريقية، وأمره بترجمة الكتب القديمة ثم بعد ذلك عينه أميناً على الترجمة (خضر أحمد، 2013، الصفحات 47-48)؛ (المنان، 2009، صفحة 58). وعين له كُتّاباً حُذاقاً يعملون بين يديه، ويُساعدونه في عمله. وخدم هذا الأخير عدداً من الخلفاء من بينهم: الأمين (198-193هـ/809-814م) والمأمون (198-218هـ/813-833م) وبقي إلى فترة حكم المتوكل (132-247هـ/847-861م). وكان "يوحنا بن البطريق الترجمان"

له البيعة بالعراق عيسى بن موسى، ثم كتب إليه مع محمد بن الحصين العبدِيُّ يُعلمه بموت الخليفة وبالبيعة له، وحكم من العام 136هـ/754م إلى العام 158هـ/775م. ينظر: (الطبري، 1969، صفحة 471)؛ (القرماني، 1996، صفحة 75).

¹ هو هارون جعفر بن محمد المهدي، وأمه الخيزران البربرية، كان يكنى بأبا موسى، وأبي جعفر، كان أبيض البشرة جميل، طويل القامة، ولد بمدينة الري عام ثمان وأربعين ومائة هجرية (148هـ/766م)، وذكر الطبري أنه ولد بالري لثلاث بقين من شهر ذي الحجة سنة 145هـ/763م، وذكر أن البرامكة تزعم أن ولادته كانت في الأول من محرم سنة 149هـ/767م، في نفس الوقت الذي ولد فيه الفضل البرمكي في 7 بقين من ذي الحجة من نفس السنة، وأرضعته أم الفضل زينب بنت منير، في المقابل أرضعت أم الرشيد الخيزران الفضل البرمكي، فأصبحا أخوين بالرضاعة، بوع له بالخلافة في نفس الليلة التي توفي فيها أخيه الهادي عام 170هـ/786م، وكان نقش خاتمه: "العظمة والقدرة لله عز وجل". ينظر: (الطبري، 1969، صفحة 224)؛ (القرماني، 1996، صفحة 82).

² هو عبد الله المأمون بن الخليفة هارون الرشيد، وأمه أم ولد فارسية يقال لها "مراجل الباذغيسية"، ولد في ربيع الأول من سنة 170هـ/787م، ولده أبوه ولاية العهد في سنة 183هـ/799م وهو في سن الثالثة عشرة من عمره، بوع له بالخلافة في سنة 198هـ/813م وهو بالري وقدم بغداد في سنة 204هـ/819م. اشتهر بميله إلى العفو وكراهية الانتقام، وكان كريماً حاضر البديهة سريع الجواب. يُنظر: (ابن كثير، 1990، الصفحات 274-275).

دور حركة الترجمة ببيت الحكمة العباسي في الحفاظ على التراث اليوناني من الضياع

أمينا على قسم ترجمة الكتب الفلسفية من اليونانية إلى العربية، فتولى ترجمة كتب كل من: أرسطاطاليس وأبقراط في الفلسفة وغيرها، كما برز في هذا القسم "حُنين بن إسحاق" الذي كان فصيحاً في اللسان اليوناني والعربي والسرياني (الدروبي، 2007م، الصفحات 42-44).

كان لبيت الحكمة مديراً خاصاً يدير شئونها يسمى "صاحب بيت الحكمة"، ويُعد "سهل بن هارون" من الأوائل الذين تولوا هذا المنصب، وكان يتولى أيضاً "دار الكتب الخاصة بالمأمون"، وتحت إمرته مديرون وأمناء على الترجمة ومعهم كتاب مهرة، كما كان يشتغل فيه علماء ونساخون وخُزان ومُجلدون من مختلف الأجناس والمذاهب والثقافات ومعهم الوراقون، ويبدو أن الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) اعتنى بتنظيم "بيت الحكمة" تنظيمًا جيداً، حيث عين "قسطن بن لوتما" مشرفاً على قسم الترجمة من اليونانية والسريانية والكلدانية، كما عين "يعي بن هرون" مسؤولاً عن الترجمة في قسم الفارسية القديم، وأمر كذلك أن تُخصص للقراء حجرة منفردة، وتُخصص حجرة أخرى تُجمع فيها أصول النحو العربي، يُشرف عليها مجموعة من العمال، كما صبر له الوراقين، والأمناء والمنقبين، فكان الوراقين يكتبون، مما أدى إلى ظهور صناعة الورق في بغداد (المنان، 2009، صفحة 62 فما بعدها).

بذلك اجتمع في بيت الحكمة على عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) نخبة مختارة من خيرة العلماء، والأطباء، والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل، ترجموا الكثير من الكتب في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم في ذلك العصر (الدروبي، 2007م، صفحة 47).

1.2 معنى اسم "بيت الحكمة":

سُميت "بيت الحكمة" أو "خزانة الحكمة" ولم يُطلق عليها مثلاً "خزانة الكتب"، وذلك للإشارة إلى نوع الكتب التي كانت تُجمع فيها، فالمعنى اللغوي لكلمة "الحكمة" يرتبط بأسماء الله تعالى "الحكم والحَكِيم"، وفي التنزيل الكريم ورد في الآية الكريمة لفظ الحكمة: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (الآية 269/سورة البقرة)، ووصف الله تعالى لقمان بأنه آتاه الله الحكمة بقوله تعالى "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)" (الآية 12/سورة لقمان)، وقد ارتبط علم الحكمة في العصر العباسي بدراسة الكيمياء والطب وعلم الفلسفة وبالخصوص الفلسفة اليونانية، وكانت الفلسفة تشمل الطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق (خضر أحمد، 2013، صفحة 31).

والظاهر أنهم أطلقوا اسم بيت الحكمة على المكان المجموعة فيه كُتب الفلسفة، لأن جلها أو أكثرها ليست كُتب دينية، بل من الكُتب التي عني بنقلها عن الأمم الأخرى، واغلبها مؤلفات فلسفة وحكمة (المنان، 2009، صفحة 56). وهذا يدل على الاتجاه العقلي لبيت الحكمة، وعلى التيار الثقافي الذي كان غالباً آنذاك. أما كلمة الخزانة أو بيت فهي تدل على المكان الذي يوضع فيه الشيء أو يُخزن (خضر أحمد، 2013، صفحة 31).

3.2 أهم المترجمين من اللغة اليونانية في بيت الحكمة :

ذكر المؤرخ ابن النديم في كتابه "الفهرست" عدد المترجمين من السريانية واليونانية إلى اللغة العربية، منهم: "يوحنا بن البطريق" الذي أمره الخليفة أبي جعفر المنصور بترجمة بعضاً من الكتب اليونانية القديمة، وبرز من بعده ابنه "أبو زكرياء يعي بن البطريق" الذي كان ضمن فريق المترجمين الذين يقودهم "الحسن بن سهل"؛ من بين المترجمين كذلك ابن نعامة "عبد المسيح بن عبد الله الحمصي النعماني" و"سَلَام" و"الأبرش" اشتغلوا في عهد أسرة البرامكة في خلافة الرشيد (170-193هـ/786-808م)، وكذلك "أيوب" و"سمعان" اللذان فسرى "ازيج بطليموس" لمحمد بن خالد بن يعي بن برمك. نجد كذلك من المترجم "الحجاج بن مطر" الذي ترجم

للخليفة المأمون (198-218هـ/813-833) كتاب المجسطي وأقليدس. وبرز في عهد المأمون "حبيب بن بهريز" مطران مدينة الموصل الذي فسر للخليفة عدة كتب؛ ولدينا "ابن شهدي الكرخي" الذي ترجم كتب من السريانية إلى العربية من بينها كتاب "الأجنة" لأبقراط. وكذلك "أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب"، نقل كتاب أفلاطون في آداب الصبيان، وبرز كذلك "أيوب بن القاسم الرقي" ترجم كتباً من السريانية إلى العربية منها: كتاب "أيساغوجي"؛ وكذلك "المترجم مرلاحي" المتبحر في اللغة السريانية وكان يعمل تحت إمرة المترجم "علي بن إبراهيم الدهكي". ولدينا أيضاً "دادنسوع" كان يشرح لإسحاق ابن سليمان ابن علي الهاشمي من السريانية إلى العربية، و"قسطا بن لوقا البعلبيكي" كان يُتقن اليونانية والسريانية والعربية، فترجم كتب عديدة كما صحح أخطاء كثيرة في الترجمات؛ كما برز "ثابت حبش" و"عيسى بن يحيى الدمشقي" و"إبراهيم بن الصلت" و"إبراهيم بن عبد الله" و"يحيى بن عدي النفيسي" و"حنين بن إسحاق" (النديم، 1971م، الصفحات 304-305).

4.2 الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر في المترجم :

وضع الجاحظ (ت: 868م) عدة شروط وصفات يجب أن تتوفر في المترجم، منها: أن يكون مُتقناً للغة التي يُترجم منها والتي يُترجم لها، عالماً بكل صغيرة وكبيرة باللغة المنقولة والمنقول إليها، وبذلك يجب أن يُتقن على الأقل لغتين. وكلّما كانت اللغة أصعب وأعسر نفر منها المترجمون لأن العملية فيها تكون أشدّ على المترجم، ويكثر فيها الخطأ (الجاحظ، 1965، الصفحات 76-77).
نوه بأن الترجمة كانت تتم وفق الاختصاص، فكان المترجمون يترجمون عموماً موضوعات مألوفة لديهم، خاصة حين يتعلق الأمر بالفروع العلمية، مثل: الفلك والطب، ويبدو أن ترجمة الأعمال الفلسفية في حد ذاتها كانت أقل دقة في التوزيع. فقد ترجم حنين وابنه إسحاق وحفيده حبش، وكانوا جميعاً أطباء، معظم أعمال أبقراط ومؤلفات غاليلان الطبية، وساعدهم مترجمون مثل: عيسى بن يحيى واسطفان بن باسيل. في المقابل راجع المترجم "ثابت بن قرة" الرياضي والفلكي كتاب أقليدس الذي ترجمه "الحجاج بن مطر" للرشيدي والمأمون (كار، 1998، صفحة 34).

3. طريقة الترجمة في بيت الحكمة (الحصول على الكتب وعملية التعريب): كانت الترجمة في بيت الحكمة تتم عبر مرحلتين، هي:

مرحلة الحصول على الكتاب ومرحلة الشروع في الترجمة، ويمكننا تلخيصها كمايلي:

1.3 المرحلة الأولى المتمثلة في الحصول على الكتاب: وتتم عبر عدة مراحل هي:

أ- البحث عن النسخ الخطية والحصول عليها: يعتبر الخليفة أبو جعفر المصور (136-158هـ/753-774م) هو أول من اهتم بعلوم الحكمة (الفلسفة) خاصة علم النجوم (صاعد، 1912، صفحة 48) والفلك والهندسة والطب، فأرسل إلى الامبراطور البيزنطي يطلب منه كتب الحكمة، فبعث إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات (التميمي، 2011، صفحة 21). اهتم من بعده الخليفة الرشيد (170-193هـ/786-808م) بجلب الكتب إلى بيت الحكمة وكان يقبل الجزية كتباً، وهو نوع من أنواع جلب الكتب إلى بيت الحكمة قصد ترجمتها إلى العربية (خضر أحمد، 2013، الصفحات 30-31).

سخر الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م) كل الإمكانيات المتاحة وسلك كافة السبل لجلب الكتب من مكتبات القسطنطينية وقبرص (طقوش، 2009، صفحة 134)، فأرسل إلى أباطرة الإمبراطورية البيزنطية الهدايا وطلب منهم إمداده بكتب الفلاسفة فبعثوا إليه كتب كل من: أفلاطون وأرسطاطاليس وأبرقراط وجالينوس وأوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة (صاعد، 1912، صفحة 48). كما أرسل الخليفة المأمون البعثات العلمية الرسمية لجلب الكتب من خزائن الروم، فبعث منهم: "الحجاج بن

مطر" و"ابن البطريق" و"سلما" صاحب بيت الحكمة، وقيل كان معهم "يوحنا بن ماسويه" وكذلك "محمد" و"أحمد" و"الحسن بنو شاكر المنجم" و"حنين بن إسحاق"¹ و"قسطا بن لوقا البعلبيكي" و"حبش بن الحسن" و"ثابت بن قرة" (النديم، 1971م، صفحة 304). كانت مهمة بعثة المأمون صعبة للحصول على الكتب اليونانية، فقد ذكر "أبا إسحق بن شيرام" أنه كان ببلاد الروم هيكلا قديما به باب ضخمة لم يوجد مثله في أي مصر، يقع على بعد ثلاثة أيام من مدينة القسطنطينية، بجوار قوم من الصابئة الكلدانيين، وكان اليونانيون في القديم يعظمونه عند عبادتهم الكواكب والأصنام فيقدمون فيه الذبائح، فسأل أبا إسحاق إمبراطور الروم أن يفتحه له، فامتنع لأن الباب أغلقت من وقت قديم عندما اعتنقوا النصرانية، ولم يزل أبا إسحاق يُلح عليه ويرأوده لفتحه حتى فعل، فوجد به كم هائل من الكتب القديمة ما مقداره حمل ألف جمل، وكانت الكتب في أحوال مختلفة بين جيدة ورديدة أكلتها الأرضة، ولكنه لم يسمح له بأخذ أي كتاب (النديم، 1971م، صفحة 304)؛ وقد نقل "ابن وحشية النبطي" جانباً من الصعوبات التي واجهها خلال بحثه عن كتب الكلدانيين ليقوم بنقلها إلى العربية، فقد اجتهد في طلب كتبهم، ووجد مجموعة كبيرة عند الكسديانيين، الذين كانوا يتكتمون عليها ويبالغون في إخفائها وعدم إظهارها للأجانب، فاستعمل الحيلة وبذل جهداً مضمناً للوصول إلى البعض منها (الدروبي، 2007م، صفحة 48).

نشطت "أسرة بني شاكر" في البحث عن النسخ الخطية في بلاد الروم، وبعثوا "حنين بن إسحاق" وغيره إلى بلاد الروم، فجاءوهم بطرائف الكتب، وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى، والأرثماطقي والطب (النديم، 1971م، صفحة 304). ويُعد "حنين بن إسحاق العيادي" أكثر المترجمين عناية بالبحث عن النسخ الخطية سواء أكانت بالسريانية أم اليونانية، كما تحدث "حنين بن إسحاق" عن عناؤه في البحث عن نسخة من كتاب مُعين فكان يسأل الثقات عنها ويطلبها من مظانها فينجح بحثه وقد لا ينجح، مثل طلبه لكتاب "النبض" لجالينوس، فقد ذكر بأنه: "لم يُترجم لهذا الكتاب إلى هذه الغاية، ولا رأيت له نسخة باليونانية، إلا أن قوما أثق بخبرهم خبروني أنهم رأوه بحلب، وقد طلبته هناك بعناية، فلم أظفر به.. وقد وقعت نسخته إلى محمد ابن موسى" (النديم، 1971م، صفحة 20)، ويضرب لنا حنين مثلاً ثانياً على شدة طلبه لكتاب "الأدوية" حيث لم يجد له نسخة باليونانية ولا بلغه أنه موجود عند أحد، على أنه قد عني في طلبه عناية شديدة (النديم، 1971م، صفحة 25)؛ (الدروبي، 2007م، صفحة 49).

وقد يشتد الطلب على كتاب معين، وتقوى المنافسة بين الراغبين فيه، مثل كتاب "البرهان" لجالينوس الذي كان مفقوداً في ذلك الزمن خلى نسخة واحدة مكتوبة باليونانية، فتنافس عليه كل من: "جبريل بن بختيشوع" و"حنين بن إسحاق"، فشدد الأول البحث عنه في كل مكان وعثر على بعض المقالات منه، في المقابل جال الثاني في مكتبات الجزيرة والشام وفلسطين ومصر وخاصة بمكتبة الإسكندرية للبحث عنه فوجد منه بدمشق بعض المقالات المتوزعة إذا جُمعت تحوي نصف الكتاب غير أنها غير تامة. (ابن إسحاق، 1959، صفحة 58).

لم يعرف المترجمون الكل والملل في بحثهم عن النسخ الخطية، وقد يستمر بحثهم زمناً طويلاً، والمثال عن ذلك أن كتاب أبلونيوس النجار المسمى "المخروطات" تُرجم منه سبع مقالات في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/833-834م)، ولم تُترجم الثمانية الباقية منه لأنها كانت مفقودة وألح المترجمون في البحث عنها وكانت مخبأة عند ملوك اليونان (الدروبي، 2007م، صفحة 50).

ب- مرحلة المراقبة ونقد نسخ الكتب المراد ترجمتها (تحقيق النص): تعتبر هذه المرحلة من أهم المحطات التي يمر عليها الكتاب المراد

¹ - ولد أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، المروف تحت اسم جوهانيثيوس أومان أو هوميوني في الحيرة بالعراق في العام 809م في القبيلة العربية المسيحية عباد، وكان أبوه عطاراً، مما أتاح له الفرصة باكراً للاهتمام بالعقاقير والطب وبخاصة طب العيون فدرس تلك العلوم على يوحنا بن ماسويه (777-857م). يُنظر: (كار، 1998، الصفحات 18-19).

ترجمته، حيث يقوم المترجمون بفحص المخطوطات والكتب المراد ترجمتها، فيميزون بين النسخ الرديء منها والجيد، كما يميزون خطوطها ولغاتهما هل بالسريانية أو اليونانية أو الفارسية أو العربية، كما يتم الإشارة إلى الأخطاء أو الإسقاط والنقص والاختلاط والاختلال، وقد يتم الإشارة إلى وجود أكثر من نسخة (الدروبي، 2007م، الصفحات 51-52).

كذلك قد يقوم المترجم بنقد الترجمة التي سبقته، مثلما فعل "حنين بن إسحاق" عند ترجمته لمقالة جالينوس "الفرق"، والذي ترجمه قبله ابن شاهدا السرياني من مدينة الكرخ ولكنه كان ضعيفا في الترجمة، فأعاد هو ترجمته من اليونانية إلى اللغة العربية على نسخة الطبيب شيريشوع بن قطرب من أهل جندي سابور، وهو في مقتبل عمره في السن العشرين حيث كان قليل الخبرة والتجربة، وعندما بلغ الأربعين من عمره طلب منه تلميذه حبيش بضرورة إصلاح الأخطاء الواردة فيه وإعادة ترجمته من جديد، ففعل ذلك بعد أن اجتمعت له عدة نسخ يونانية أخرى فقابلها بعضها ببعض حتى صحت له منها نسخة واحدة جيدة، ثم بعد ذلك قام بمقابلتها بالنسخة السريانية وصححها، وبعد مدة من الزمن قام بترجمته إلى العربية لأبي جعفر محمد بن موسى (ابن إسحاق، 1959، صفحة 05).

إسحاق بن حنين لم يكن راضيا عن ترجمة "ابن سهدا" لضعف صاحبها في الترجمة، كما أنه لم يكن راضا عن ترجمته هو نفسه عندما كان في العشرين من عمره، ليس من أجل كثرة الإسقاط في النسخة اليونانية فقط بل لنمو مهارته في الترجمة، واكتسابه خبرات علمية في الترجمة (الدروبي، 2007م، صفحة 53). وكان حنين بن إسحاق كثيرا ما يُعبر عن عدم ثقته بترجمة كتاب ما ترجمه نظرا لقلة خبرته، مثلما حدث في ترجمته لإحدى مخطوطات "في جوهر النفس ما هو على رأي اسقليبيادس"، فقد ترجمها وهو صغير إلى اللغة السريانية لجبرائيل، وبقي يتشكك في صحة ترجمته مدة طويلة لأنه ترجمها من نسخة واحدة ووحيدة غير صحيحة. (ابن إسحاق، 1959، صفحة 59).

الشيء الجميل في منهج المسلمين في الترجمة أن عملية النقد لا تنتهي بالتقادم، فقد روى ابن النديم عن إسحاق بن حنين في ترجمته لكتاب "النفس" لأرسطو إلى العربية من نسخة رديئة، وبعد ثلاثين سنة عثر على نسخة أخرى جيدة، فقابلها بالنسخة الأولى فوجدها شرح لثامسطيوس (الدروبي، 2007م، صفحة 51). وصحح الأخطاء

قام الخليفة الرشيد (170-193هـ/786-808م) هو الآخر بنقد بعض الترجمات، فقد أمر الكاتب النصراني "أبا نوح" بإعادة ترجمة كتاب أرسطو إلى العربية، فنقل هذا الأخير موقف الخليفة من بعض الترجمات قائلا: "لم ير حتى إن هذه الترجمات جديرة بالاطلاع عليها، فهي غثة، لا من ناحية الألفاظ فحسب، بل من ناحية المعاني كذلك، لصعوبة الموضوع من جهة ... وقلة دراية من قاموا بها من جهة أخرى" (الدروبي، 2007م، الصفحات 53-54).

من بين الأشياء المهمة التي كان يقوم بها المترجمون، وهي الإشارة إلى تعدد الترجمات لكتاب واحد سواء أكانت للعربية أم لغيرها من اللغات، ويذكروا من ترجمها وينقد بعضها ويُعبروا عن رضاهم عن الترجمة، ذلك لتعريف الباحثين إن رغبوا الاطلاع عليها، مثلما فعل حنين في معرض كلامه عن ترجمات كتاب "الأخلاق" لجالينوس، فقد ترجمه إلى السريانية عدة أشخاص منهم: "منصور بن أثناس" وهو أحد المترجمين الصابئين، وكذلك "أيوب الرهاوي"، وقد تحصل حنين على نسخة منصور المترجمة ولم يتحصل على نسخة أيوب إلى درجة أنه شك فيما إن كانت النسخة موجودة حقا أو أنه قام بترجمتها حقيقياً، فقام هو بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية وبعدها قام تلميذه حبيش بترجمته إلى السريانية بأمر من يوحنا بن ماسويه. (ابن إسحاق، 1959، صفحة 40).

يبدو أن الوقوف على جميع ترجمات الكتاب الواحد وتقدير قيمتها العلمية، كان من لوازم المنهج العربي في الترجمة، وبخاصة الكتب المهمة، التي يمكن الانتفاع بها في المناظرات مع اليهود والنصارى، مثل الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرانية إلى اليونانية التي ترجمها حنين بن إسحاق إلى اللغة العربية والتي تُعد من أصح نسخ التوراة بين المختصين (الدروبي، 2007م، صفحة 56).

كان الشك في الترجمات واتهام مترجمتها بالتحريف أو عدم الدقة منهجا واضحا عند المترجمين المسلمين في بيت الحكمة العباسي، أمثال جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة المأمون، الذي أشار إلى حنكة المترجم اسحاق بن حنين وبراعته في كشف تزوير

بعض المترجمين، فقال: فو الله لئن مُد في العمر ليفضحن سرجس وهو الرأس عيني، وهو أول من ترجم علوم الروم إلى السريانية، كما قال بأن حنين سيفضح غيره من المترجمين (الدروبي، 2007م، صفحة 57).

نبه المترجمون كذلك إلى الزيادات التي كانت تقع على النصوص الأصلية، فأشاروا إلى مواطن الزيادة منها، مثلما فعل حنين بن إسحاق مع كتاب "الأدوية التي يسهل وجودها"، فقد ترجمه إلى السريانية قبله "سرجي" إلا أن ترجمته كانت رديئة وتحتوي بعض الزيادات حيث أضاف إليه مقالة نسبت زورا إلى جالينوس ولكنها لفلغريوس. وقد اطلع حنين على تلك المقالة وترجمتها إلى اللغة السريانية هي ومقالات أخرى لفلغريوس لبختيشوع، ولسوء الأمر أن المفسرون لم ينتبهوا لتلك الزيادات وأدخلوها ضمن متن الكتاب وزادوا عليها أشياء كثيرة ومن ضمنها أدوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها في حياته. (ابن إسحاق، 1959، الصفحات 25-26).

وقد كشف أحد حذاق الترجمة المعروف بفيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، انتحال واحد من أشهر علماء اليونان كتابي "أبلونيوس" بعد دمجهما في كتاب واحد وقام بترجمته، وإيضاح معانيه، والزيادة عليه (الدروبي، 2007م، الصفحات 62-63).

2.3 المرحلة الثانية والمتمثلة في العمل على ترجمة الكتب: بعد الانتهاء من مرحلة الحصول على نسخة واحدة أو نسخ للكتاب وبعد التثبت من صحتها ومعرفة مؤلفها يتم ترجمتها وفق طريقتين:

أ- طريقة النقل الحرفي: لعل أشهر نص يوضح المقصود بالترجمة الحرفية أو الترجمة اللفظية للنص، وبين مساوئ هذه الطريقة وعيوبها، هو نص صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، صاحب موسوعة "الوافي بالوفيات"، حيث ذكر ما نصه: "وللترجمة في النقل طريقان، أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعاني فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينقل إلى أخرى كذلك، حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما: أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. والثاني: أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، وهي كثيرة في جميع اللغات" (الصفدي، 1888م، صفحة 46).

من سلبيات النقل الحرفي ما يلي:

- عبارات المعنى تأتي مفككة غير مترابطة، مما يؤدي إلى انقطاع المعنى، وعجز القارئ عن الربط بين أجزاء السياق.
- عجز المترجمون عن تمثيل الأسلوب العربي المبين، الذي يلتزم فيه بناء الجمل بناء صحيحا، كما عجزوا عن وضع الألفاظ في مواطن استخدامها الصحيح في السياق.
- ضعف بعض المترجمون في إحدى اللغتين أو في كلاهما معا.
- عجز الكثير من المترجمين فهم معاني بعض الكلمات في التخصص وعدم فهم مقصد المؤلف فأفسدوا ما نقلوه.
- الترجمة الحرفية تكون شكلية أكثر منها مضمونية، فبالرغم من نقلها لشكل النص والتزامها بحرفيته، إلا إنها لم تراع روح النص وصورته الأصلية التي أرادها المؤلف.
- انعدام الدقة والأمانة في أداء النص المترجم، لأن مترجموها اقتصروا على المدلول القاموسي للألفاظ فقط، دون مراعاة ما تملكه اللغات من طاقات تعبيرية، وما لها من أساليب في أداء المجاز والإسناد (الدروبي، 2007م، الصفحات 67-68).
- ب- طريقة إسحاق ابن حنين المتمثلة في الترجمة بالمعنى: لقد أوضح الصفدي الطريقة الثانية في التعريب وجعلها من ابتكارات حنين بن إسحاق وانتشرت حتى أخذها عنه المترجم الجوهري، وهي أن يقرأ المترجم الجملة ويفهم معناها في ذهنه، ثم بعد ذلك يُعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، بدون تطابق الألفاظ. وهذه الطريق في رأي الصفدي هي أحسن وأجود، لذلك لم تحتاج كتب حنين بن

إسحاق إلى المراجعة والتهديب لقلّة أخطائه إلّا بعض الكتب في العلوم الرياضية، لأنه لم يُترجمها بنفسه بل أوكلها لبعض تلامذته، بخلاف الكتب الأخرى في مجال: الطب والمنطق والطبيعي والإلهي، فإن الذي عرّبه منها لم يحتاج إلى مراجعة وإصلاح. (الصفدي، 1888م، صفحة 46).

من خلال النص يتضح أنّ حنين بن إسحاق ابتكر لنفسه منهجا صحيحا في الترجمة من لغة إلى أخرى، فابتعد عن الترجمة الحرفية، الأمر الذي جعله رائدا في مجال الترجمة، حتى أصبح يمثل نموذج المدرسة العربية في الترجمة، فقد كان يُتقن عدة لغات منها: العربية والسريانية واليونانية، كما أنه كان يمتاز بفضاحة اللسان، مع تبحره في علم الطب (الدروبي، 2007م، الصفحات 70-71).

وكانت مدرسة حنين بن إسحاق تقوم بدور التعليم والتأهيل العلمي للمترجمين، تأهيل سريع يستطيع من خلاله المترجمون الجدد اكتساب تقنية الترجمة والتأهيل الغوي من خلال الاحتكاك بالمحترفين، وتُمثل الرسالة التي تركها حنين حول ترجمة أعمال غليان، التي قامت بها مدرسته، وثيقة ثمينة، ليس لأن حنينا عرض فيها منهجه في الترجمة، بل لأنه جعلنا نتلمس العلاقة بين المعلم والتلميذ أثناء عملية الترجمة، فهو يستعمل مصطلح تلميذ لمترجم بحجم عيسى بن يعي الذي كان ينتمي إلى جماعة المترجمين، ويُشير حنين في الرسالة إلى ضرورة تحسين نوعية عمل أحد المترجمين إلى السريانية المتمثل في "سيرجيوس" التي كانت ترجماته المتأخرة أرقى من تلك التي قام بها قبل أن يكتسب خبرة في الترجمة. إن هذه الملاحظات حول تدريب المترجمين مهمة، فقد تبني المؤرخون مصطلح "تلميذ" للإشارة إلى مترجمين مثل: حبش وعيسى بن يعي اللذين اعتبرا تلميذان لحنين، غير أن حبشا كان طبيبا، وكان مصطلح تلميذ ينطبق على نوعين من الفاعلين: علم الطب والترجمة، وكانت أعمال "حبش التلميذ" الوحيدة التي ترضي حنين (كار، 1998، الصفحات 24-25).

2.3 المهام التابعة للترجمة وتثمين العمل:

ما إن تتم الترجمة ويُصادق عليها من طرف المُراجع، حتى يُكلف ناسخون بنسخها، فقد كان بخدمة حنين مثلا ناسخ يدعى الأزرق، وتُعتبر هذه المرحلة مهمة وخطيرة فقد اكتشف حنين التزوير لأحد الناسخين بشأن ترجمة كتاب لغاليان، بحيث قام الناسخ بعدة تعديلات على النسخة الأصلية فقام حنين بـ وبتغيير التصحيحات بأخرى من صنعه. وبعد النسخ تم تجليدها وتصنيفها وفق تخصصاتها (كار، 1998، الصفحات 35-36).

كان يُترجم لبني موسى بن شاكر، كل من: حنين بن إسحاق وحبش بن الحسم الأعسم، وثابت بن قرة، ولهم أجراً في الشهر قدره خمسة دینار على النقل والترجمة (التميمي، 2011، صفحة 25). وكافأ الخليفة المأمون المترجم "حنين بن إسحاق" الذي عرب آثار جاليلئوس وأرسطو وأفلاطون وأبقراط وبطلئيموس، بإعطائه وزن ما ترجم ذهباً (طقوش، 2009، الصفحات 135-136).

في رواية أنّ الخليفة المأمون صرف على الترجمة حوالي ثلاثمائة ألف دينار، وكان بنو المنجم يرزقون المترجمين خمسمائة دينار في الشهر، وأنفق الفتح ابن خاقان مبالغ كبيرة على الترجمة والتأليف واقتناء الكتب، وكان محمد بن عبد الملك الزيّات لا يقل عن بن خاقان في الانفاق، فإنه كان يصرف على الترجمة والكتابة ما يُقارب ألفي دينار في الشهر، وكان أبو محمد الحسن بن موسى ابن أخت أبي سهل بن نوبخت وهو أحد الفلاسفة المتكلمين، يُنفق على النقلة والكتاب من ماله الخاص، ويبيع تلك الكتب، فباع كتاب: شرح الإسكندر الأفرودوس للسمع الطبيعى" وكتاب "البرهان" بثلاثة آلاف دينار (التميمي، 2011، صفحة 31).

4. الكتب اليونانية المُترجمة: تُقسم الكتب اليونانية المترجمة في العصر العباسي إلى أجيال ثلاثة من المترجمين عموماً، ويمكن توضيحها كما يلي:

1.4 الجيل الأول من العام 753م إلى العام 813م (عهدي المنصور والرشيد): لقد اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) خاصة بعلم الفلك وأمر بترجمة الكتب الهندسية التي تعالج هذا العلم، فقد بعث الامبراطور البيزنطي إلى المنصور كتاب إقليدس

وبعض كتب الطبيعيات (التميمي، 2011، الصفحات 13-21). وقد ترجم له عبد الله بن المقفع كتاب أرسطاطاليس المنطقية الثلاث وهي: "قاطاغورياس" و"باري أرمنياس" وكتاب "أنولوطيقيا"، ولم يُترجم منه إلا الكتاب الأول فقط، وترجم المدخل إلى كتاب المنطق المعروف بالايساغوجي لفرفوريوس الصوري، وترجم له محمد ابن إبراهيم الفزاري سنة 506م كتاب في الحساب "السند هند الكبير" (الدهر الداهر) يحوي أعمال الفلك والكسوف ومطالع البروج، وأمر الخليفة المنصور بأن يكون هذا الكتاب قاعدة لعلم حركات الكواكب، فبقى كتاب "السند هند الكبير" مرجع يُرجع إليه إلى عهد الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، حيث اختصره له العالم أبو جعفر بن موسى الخوارزمي وعمل منه زيجته المشهور، وعدّل فيه حيث جعل تعاديله على طريقة الفرس أما ميل الشمس فعلى طريقة بطليموس (صاعد، 1912، الصفحات 49-50). وكتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الأرتماطقي وكتاب إقليدس، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومانية والسريانية (التميمي، 2011، صفحة 21). ويُعتبر كتاب إقليدس أولى الترجمات في المجال الهندسي من اليونانية إلى العربية لدى المسلمين.

أما الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) فقد اهتم أكثر بترجمة المؤلفات الطبية اليونانية التي جُمعت، وأوكل هذه المهمة للطبيب يوحنا بن ماسويه، خريج مدرسة جنديسابور (كار، 1998، صفحة 13).

2.4 الجيل الثاني من المترجمين في عهد المأمون (218-189هـ/813-833م): عمل الخليفة المأمون على ترجمة العديد من الكتب اليونانية، منها: كتاب المجسطي ومن خلاله فهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيه، ففرح المأمون بذلك كثيرا، وجمع العلماء وأمرهم بأن يصنعوا له مثل تلك الآلات ويقيسوا ويرصدوا بها الكواكب مثلما فعل بطليموس اليوناني، فأنشأوا مرصدا بمدينة الشماسية في دمشق سنة 214هـ/829م، رصدوا به حركة الشمس ومقدار ميلها وخروجها وفترة أوجها كما رصدوا مراكز الكواكب المختلفة السيارة والثابتة، واستمروا في ذلك إلى وفاة المأمون سنة 218هـ/833م، ودونوا كل ذلك في كتاب سموه "الرصد المأموني"، ومن أشرف على ذلك كبير المنجمين يحيى بن أبي منصور، وخالد بن عبد الملك الروزي وسند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري، فألف كل واحد منه زيجا منسوباً إليه (صاعد، 1912، صفحة 50).

ذكر الصفدي أن الخليفة المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى -ربما صاحب جزيرة قبرص- طلب منه خزانة كتب اليونان (الصفدي، 1888م، صفحة 46 ج.1). وترجم "حنين بن إسحاق" إلى العربية 35 مؤلفا طبيا لغاليلان، كما ترجم له 100 مؤلف إلى السريانية، ومؤلفات أبقراط والأعمال الفلسفية لأرسطو والمادة الطبيعية لديوسكوريد والطب لتيومينست نيكو بوليس ولا شك أن ذلك كان يقوم به فريق من المترجمين وكانت مهمة حنين هي مراجعة الترجمات (كار، 1998، صفحة 21).

يمكن إعطاء نماذج عن الكتب التي ترجمها حنين:

ترجم حنين كتب أفلاطون وفسرها، ككتاب السياسة، وكتاب النواميس الذي ترجمه كل من إسحاق بن حنين ويحيى بن عدي، وكتاب "طيمائوس"، وكتاب المناسبات وكتب أخرى كثيرة (النديم، 1971م، صفحة 306 ج.7). كما نقل حنين بن إسحاق كتب قاطيغورياس وفسرها، منها كتاب "فرفوريوس" الذي ترجمه اصطفن الأسكندراني، وكتاب "اللينس" الذي ترجمه يحيى النحوي وكتب "أمونيوس" و"ثامسطيوس" و"ثاوفرستس" و"سنيليقيوس"، وكتاب "لامليخس" الذي عرّبه أبا زكرياء وكان 300 ورقة، وفسره أبو نصر الفارابي وأبو بشر متى، واختصره كل من: ابن المقفع وابن بهريز والكندي وإسحاق بن حنين وأحمد بن الطيب والرازي؛ ترجمة كتاب "باري أرمنياس"، نقل حنين بن إسحاق من اليونانية إلى السريانية ثم نقله إسحاق إلى العربية، وفسره كل من: الإسكندر ويحيى النحوي وأملبخس وفرفوريوس وجوامع اصطفن وجالينوس وقويري ومتى أبوبشر والفارابي ولثاوفرستس. وعمل بعض العلماء على اختصاره ومنهم: حنين بن إسحاق وابن المقفع والكندي وابن بهريز وثابت بن قرة وأحمد الطيب والرازي. (النديم، 1971م، صفحة 309 ج.7).

أما كتاب "أنا لوطيقا الأول"، فترجمه إلى العربية تبادورس وفي رواية انه عرضه على حنين بن إسحاق فصحه وأصلح الأخطاء التي وقعت فيه، كما ترجم حنين جزء منه إلى السريانية، وأكمل إسحاق الباقي، وقد فسره الكثير من العلماء منه: الإسكند وثامسطيوس ويحي النحوي وقويري وأبو بشر متى والكندي. أما كتاب "أبو ديقطيقا" (أنا لوطيقا الثاني): وهما مقالتين ترجم حنين بن إسحاق جزءا منه إلى اللغة السريانية ونقله إسحاق كله إلى السريانية، ثم قام المترجم متى بترجمته إلى اللغة العربية، في حين قام كل من: ثامسطيوس والإسكندر ويحي النحوي وأبو بشر متى والفرايبي والكندي بشرحه (النديم، 1971م، صفحة 309 ج.7).

أما كتاب "طوبيقا" فقد ترجمه اسحق إلى السريانية وقام يحي بن عدي بترجمته إلى اللغة العربية، كما ترجم الدمشقي منه سبعة مقالات في حين أكمل إبراهيم بن عبد الله بترجمة المقالة الثامنة. وقام مجموعة من العلماء بشرحه من بينهم: يحي بن عدي في حوالي ألف ورقة كما قام هذا الأخير بإصلاح بعض أخطاء المترجمين، كما قام الفارابي بتفسيره أيضا واختصره، كما فسر متى المقالة الأولى (النديم، 1971م، الصفحات 309-310 ج.7).

كما تُرجم كتاب "سوفسطيق" (الحكمة المموهة)، ترجمه كل من: "ابن نعامه" و"أبو بشير متى" إلى اللغة السريانية، وقام المترجم "يحي بن عدي" بنقله إلى اللغة العربية عن تيوفيلي، كما ترجمه كذلك "إبراهيم بن بكوس العشاري" من كتاب ابن نعامه، وقام كل من: "قسر قويري" و"الكندي" بتفسيره. أما كتاب "ريطوريقا" (ومعناه الخطابة)، فقد ترجمه كل من: إسحاق وإبراهيم بن عبد الله إلى اللغة العربية، وقام الفارابي بتفسيره في نحو مائة ورقة. أما كتاب "أبوطيقا" (ومعناها الشعراء)، فقد ترجمه كل من: أبو بشر متى ويحي بن عدي من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وقام الكندي باختصاره (النديم، 1971م، صفحة 310 ج.7).

عثر الخليفة المأمون على مخطوطة مصرية نادرة عنوانها "السر في الكيمياء" لهرمس، كانت تحت لوح مرمر في قيد قبة امرأة ميتة، فاستدعى العلماء لقراءتها وترجمتها، فقرأها عالم من جنير، عارف بالمسانيد، وفُسرت له مع المزامير التي فُسرت (التميمي، 2011، الصفحات 35-36).

5. عودة الترجمات اليونانية العربية إلى أوروبا:

كان الأوربيون في الفترة العباسية لا يعرفون عن علوم اليونان إلا الشيء القليل، فهم لم يجدوا النصوص الأصلية لكتب الإغريق واليونان، وترجعوا عليها عن طريق الترجمات العربية، خاصة بعد احتكاكهم بالمسلمين في الأندلس، ففي القرن 11م عكف علماء النصراني على ترجمة علوم العرب وفنهم، وازدادوا ترجمة عندما علموا بأن العرب قد ترجموا أغلب المخطوطات الأصلية لعلماء اليونان، ولقيت هذه الترجمات ترحابا واسعا من ملوكهم، وقد توافد الكثير من طلبة العلم من مختلف أنحاء أوروبا لطلب العلم في المدن الأندلسية، وقد تعلم جلهم اللغة العربية، فأصبحوا الحجر الأساس في بعث حركة الترجمة في أوروبا (عباسة، 2006، الصفحات 4-5).

1.5 معاهد طليطلة للترجمة: تُعد مدينة طليطلة بعد سقوطها في يد النصارى بقيادة الملك ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م، من أوائل المدن التي برزت فيها حركة الترجمة، وقد ساعدت كثرة المكتبات الحافلة بالمؤلفات العربية فيها في شجعت الترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية، ولقد جعل النصارى من المدينة مركزا مهما لنقل علوم العرب إلى باقي شعوب أوروبا (يونغ، 1979، صفحة 120).

أ- معهد رايموندو: يرجع الفضل للمطران رايموندو (1126-1152) في إدخال النصوص العربية في دوائر الدراسة الغربية، فقد تولى رعاية مجموعة من المترجمين والكتاب وتدريبهم، أسسوا في تاريخ الأدب "مدرسة المترجمين الطليطليين"، حفزهم رايموندو على نقل المؤلفات العربية بهمة (بانثيا، 1955، الصفحات 537-538). فقد أسس هذا الأخير بطليطلة في القرن 12م "معهدا لترجمة الأعمال العربية إلى اللاتينية"، وعهد برئاسته إلى رئيس الشمامسة في شقوبية "دومينيك غونديسالفي" (Dominic Gandisalvi) (يونغ، 1979،

صفحة 120). وكان أسقفا من كبار رجال الكنيسة في طليطلة، وكان له مساعدان يتحدثان العربية، هما: ابن داوود وكان يهوديا تحول لاحقا إلى النصرانية، وجون الإشبيلي المعروف بـ "يوحنا الإشبيلي"، حيث قام غونديسالفلي باختيار الكتب المراد ترجمتها، وقام بتنقيح النسخة اللاتينية النهائية، بينما قام معاوناه بنقل المعنى من العربية إلى اللاتينية (واط، 2016، صفحة 112). وكان هذان الأخيران يعملان مشتركين، فيملي يوحنا ترجمة النص العربي بالإسبانية الدارجة ويقوم غونديسالفلي بنقلها من الإسبانية إلى اللاتينية، وقد ترجما عدة كتب عربية إلى اللغة اللاتينية، من أهمها كتب: "النفوس" و"الطبيعة" و "ما وراء الطبيعة" لابن سينا، وكتاب "مقاصد الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي"، وكتاب "ينبوع الحياة" لابن جبرول. كما ترجم يوحنا الإشبيلي كتب عربية كثيرة في الفلك وصفة النجوم، وكتاب "العلل" وكتاب في الطبيعة وآخر في المنطق (بانثيا، 1955، الصفحات 537-538).

ألف الأسقف "دومينيكيوس غنديسالفلي" عدة كتب مقتبسة من العرب، ككتابه عن خلود النفس الذي بناه على آراء ابن سينا وابن جبرول، وكتابه عن "خلق الدنيا" الذي أُعتبر من أقدم وأهم آثار الفلسفة الإسبانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية، حيث تتبع فيه الأثر المشرقي لأفلطوني الحديث الذي عرفه ابن جبرول، وألف كذلك كتاب "في فروع الفلسفة" نشره باور سنة 1903م، وهو تصنيف في العلوم يقفو فيه أثر الفارابي في كتابه "إحصاء العلوم" (بانثيا، 1955، صفحة 539). من بين المترجمين في معهد ريموندو، نذكر: الإيطالي "جيراردو الكريموني" الذي تُنسب إليه ترجمة نحو مئة كتاب، ويُعتقد بأنه كان برفقته فريق من المترجمين، وتعاون مع مستعرب مسيحي يدعى غالوبوس (واط، 2016، صفحة 112).

قام معهد ريموندو في طليطلة بالترجمة من العربية وأهمها كتب الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة، منها "أورجانون" لأرسطو، كما تُرجمت الشروح والمختصرات التي وضعها العلماء المسلمون من أمثال: الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد، كما ترجموا مؤلفات كل من: إقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط، بشرح علماء المسلمين عليها من أمثال الخوارزمي والبَتَّاني وابن سينا وابن رشد والبطروجي (بانثيا، 1955، صفحة 537).
ب- معهد الدراسات الشرقية: في العام 1250م تأسس في نفس المدينة "معهد للدراسات الشرقية" وكان هدفه تدريب الإرساليين لتوجيههم إلى المسلمين واليهود. وضم إليه أبرز المترجمين من بينهم: الإنكليزيان "روبرت الكلتوني" و"أدالار الباثي" واليهوديان "أبراهم بن عزرا" وأخوه (يونغ، 1979، صفحة 120).

اشتهر صيت مدرسة طليطلة في الترجمة، فَقَدِمَ إليها عددا كثيرا من العلماء المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية الشرقية التي عادت إلى البروز مجددا في ذلك الوقت، ولم يكن هؤلاء الوافدون يعرفون العربية، فكانوا يلجؤون إلى المستعربين اليهود من أهل طليطلة، فيترجمون لهم حرفا بحرف مادة الكتب العربية إلى اللغة الإسبانية الدارجة، أو اللاتينية الركيكة، ويقومون هم بإعادة صياغتها في قالب لاتيني فصيح، ثم يتم نسخ عدد من النسخ وتُرسل إلى مختلف المدارس الأوروبية المتعددة، فقام جيراردو القرموني بترجمة طائفة من كتب العرب في الفلك والطب، بعضها لأبي القاسم الزهراوي، وقام الإنجليزي "مِيْكَلْ سَكوت" بمساعدة أندريا اليهودي بترجمة بعض كتب أرسطو وابن سينا إلى اللاتينية، ومؤلفات البطروجي، وهو أول من ترجم كتب ابن رشد إلى اللاتينية، منها "السماء والعالم" و"رسالة النفس". كما قام "روبرت دي رتينس" وهرمان الدلمائي بترجمة القرآن الكريم، إجابة لطلب "بطرس الجليل". وقام "أديلارد الباثي" بتأليف كتب في الفلك والرياضيات، وكتب الألماني "هرمان" كتاب "البلاغة والشعر" لأرسطو مستعينا في تأليفه بشرح بكتاب "البلاغة" للفارابي وتلخيص كتاب "الشعر" لابن رشد، من المؤلفات اليونانية التي ترجمها المسلمون وانتقلت لأوروبا عبر مدرسة طليطلة، نذكر كتاب "شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو" (بانثيا، 1955، صفحة 539).

يتجلى التأثير الفلسفي العربي في أعمال توما الأكويني (ت 1274م) الذي برزت فيه أوجه الشبه بين أفكاره وأفكار ابن رشد من جوانب متعددة، كما يظهر تأثير الفيلسوف المسلم الآخر "الغزالي" على المفكرين المسيحيين بشكل بالغ، حيث عُرفت كُتبه في المنطق والفيزياء والميتافيزيقيا نتيجة لجهود مترجمي مدرسة طليطلة في القرن 12م، كما كانت كتب الكندي والفارابي وابن سينا مألوفا وقد تركت أثارا بارزة في الغرب (يونغ، 1979، صفحة 123). ومن الحقائق المقررة على فضل العرب على المفكرين الإسكولاستيين، فنجد من هم على مذهب أرسطو متأثرين بالعلماء المسلمين أمثال: ابن باجة وابن طفيل وابن رشد خاصة، وأما من اتجهوا اتجاهها أفلاطونيا حديثا فتأثروا بمؤلفات: ابن مسرة وابن جبرول وابن عربي (بانثيا، 1955، صفحة 540).

2.5 مدرسة فرنسا: كانت الثقافة العربية تنتقل إلى أوروبا عن طريق الباحثين والمترجمين إلى جنوب فرنسا وتولوز ومرسيليا وناربون ومونبليه (يونغ، 1979، صفحة 120)، واعتبرت هذه الأخيرة من أشهر المدن الفرنسية التي اهتمت بالعلوم العربية، لأنها كانت تُعد مركزا للدراسات الطبية والفلكية، ومن أبرز أعلامها: "أرنو دي فيلانوف" (ت: 713هـ/1313م)، الذي كان يعرف اللغة العربية، وقد درّس في جامعتها، كما يرجع إليه الفضل في تطور دراسة الطب في جامعة المدينة، بفضل ترجمة عددا من الكتب العربية. وفي الرياضيات برز "جبريت دورياك (ت: 394هـ/1003م)-الذي سيصبح البابا سلفستر الثاني- أول عالم مسيحي أطلع على الأرقام العربية، إذ كان قد زار الأندلس في العام 357هـ/967م وأمضى ثلاث سنوات إلى سنة 970م، في دراسة العلوم العربية في كتالونيا ودرس الرياضيات وربما الفلك، كما درس في قرطبة العلوم المحرمة على يد عالم مسلم ثم سرق كتبه، وبعد عودته اعتلى كرسي البابوية في العام 390هـ/999م وأصبح يُعرف بالبابا سلفستر الثاني، وترجم كتب الحساب العربي إلى اللاتينية، وألف كتابا يشرح فيه كيفية استخدام الأرقام العربية، وعمل على نشر علوم العرب في فرنسا على الرغم من معارضة الرهبان له، وبعد فترة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية نتيجة أعمال "ليوناردو فيبوناتشي من بيزا (ت 1240م)، وكان رياضيا درس الرياضيات على يد معلم عربي من شمال أفريقيا (رما في بجاية)، وأصدر في العام 1202م كتابا يشرح فيه نظام الأرقام العربية، وأسس علم الرياضيات الأوروبية (واط، 2016، صفحة 125).

من المترجمين الذين نقلوا علم الفلك العربي إلى اللاتينية، نجد "إدوارد الباثي الانكليزي" و"أفلاطون التيفولي" و"جيرار الكريموني"، فقد ترجموا "زيج البتاني" إلى الإسبانية بناء على رغبة الملك "ألفونسو العاشر" الذي حكم ليون وقشتالة بين (1252-1284م)، والثابت أن فكرة المرصد أخذها الأوروبيون من المسلمين في الأندلس. وكان أول المراصد الأوروبية "المرصد الملكي" الذي أسسه "الكونت وايلهلم الرابع" في مدينة كاسيل (يونغ، 1979، صفحة 126). وفي العام 1052م كان هناك إسطرلاب في مدينة لبيج وكتابان آخران عن الإسطرلاب يعود تاريخهما إلى العام 1048م ويجمعان العلوم الإسلامية، ويُنسب الكتابان إلى العالم الألماني "هيرمانوس كونتراكتوس" وهذا دليل على أن انتشار الرياضيات والفلك في أوروبا كان عن طريق الأندلس (واط، 2016، صفحة 110).

أما ليوناردو البيزي (ت 602هـ/1250م) فقد عمل على تطوير علم الرياضيات في أوروبا، فقضى عدة سنوات في مدينة بجاية بالجزائر، رفقة والده الذي كان يملك مركزا تجاريا، ثم عاد إلى مدينة بيزة وترجم عدة كتب من العربية، وساهم في تهذيب الأرقام العربية (عباسة، 2006، صفحة 7).

كما انتقلت النسخ العربية المترجمة إلى اللورين مما جعلها مركزا ثقافيا هاما لمدة قرنين، كما غدت مدن أخرى مراكز للتأثير العربي، من بينها: لينينج وكورز وكولون، ومن اللورين انتقلت الكتب العربية إلى أجزاء أخرى من ألمانيا وإنكلترا (يونغ، 1979، صفحة 120).

3.5 مراكز إيطاليا وصقلية: أما إيطاليا وصقلية فكانتا الجسر الثاني الذي انتقلت عبره الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية، ففي إيطاليا كان قسطنطين الإفريقي التاجر القرطاجي، الذي أصبح راهبا بندكتيا، من أبرز المترجمين من العربية في القرن 11م، ترجم وألف عددا من الكتب حول تاريخ العرب المسلمين وجغرافية بلدانهم، أما الحسن الوزان الملقب بليون الإفريقي (ت 961هـ/1554م) الذي أجبر على التنصر بعد اختطافه من طرف رجال الكنيسة، فقد ترجم علوم العرب وألف طيلة 17 سنة في إيطاليا (عباسة، 2006، صفحة 6).

وظهر في الساحل الشرقي لبرشلونة الإيطالي أفلاطون أوف تيفولي الذي ترجم أعمالا في الهندسة والفلك من اللغتين العربية والعبرية بالتعاون مع إبراهيم بارحيا (واط، 2016، صفحة 113).

أما جزيرة صقلية فقد احتضنت في عهد النورمان مركزا للترجمة والتدريس، عمل على نقل علوم العرب إلى اللغة اللاتينية، فقد استقدم الكونت روجار الأول (494هـ/1101م) عددا من الشعراء والعلماء والمؤرخين العرب إلى قصره، أما في عهد غيون الثاني الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ويكتبها، تُرجمت الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية (عباسة، 2006، صفحة 6). كان حكام صقلية وبخصوص فرديريك الثاني (1215-1250م) وابنه مانفرد يعرفان العربية قراءة وكتابة، وألفا الكتب بالعربية وترجمت إلى اللاتينية، وكان للفلاسفة العرب مكانتهم في بلاطه، وأنشأ فرديريك جامعة نابولي في العام 1224م، وأهداها مجموعة كبيرة من الكتب العربية، وأقام علاقات مع السلطان الكامل محمد (1218-1238م) ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتراسلا في أمور فلسفية ورياضية (يونغ، 1979، صفحة 121). وفي عهد ملك صقلية "شارل دانجو" (ت 684هـ/1285م) ضم في بلاطه اليهودي فرج بن موسى، فقام بترجمة كتب كثيرة من اللغة العربية إلى اللاتينية، وكان له دورا بارزا في تعليم الطب في أوروبا (عباسة، 2006، صفحة 7). تبنت أوروبا في العصر الوسيط نظام الطب العربي الذي بُني على المصادر الإغريقية المترجمة، وفي الحقيقة لم تتغير نظرية الطب عند العرب عما كانت عليه عند الإغريق. كما تبني الغرب طريقة العلاج المتقدمة لدى المسلمين، وانتشر تدريس الطب في الغرب، ومن أشهر الذين نشطوا في مجال الطب "مايكل سكوت" (ت 1235م) الذي يُعتقد أن أصوله اسكتلندية، فقد سافر إلى باريس وإلى طليطلة سنة 1217م وأنهى بها ترجمة كتاب "الحياة" للبترجي، وبعد ثلاث سنوات سافر إلى مدينة بولونيا في إيطاليا ومارس فيها الطب، وأنعم عليه البابا هوريوس الثالث وأوصى به رئيس أساقفة كانتربري فجعل له دخلا من أوقاف الكنيسة في العام 1224م من كنيسة إنكلترا، ثم سافر إلى إنكلترا في العام 1230م، وبعدها استقر في صقلية حيث أصبح من علماء الفلك في بلاط الإمبراطور فرديريك الثاني وأهداه كتبه (يونغ، 1979، صفحة 129).

في القرن 10م كتب اليهودي "دونولو" الذي كان سجيناً لدى المسلمين بعض الأطروحات في الطب بالعربية، حوت الطب الإسلامي، وجاء التقدم الخارق في مجال الطب بعد قرن من الزمن على يد "قسطنطين الأفريقي" الذي كان تاجرا بين جنوب إيطاليا وتونس، وقد أدرك بعد زيارته إلى مدينة ساليرنو كم كانت متأخرة في مجال الطب، فقرر دراسة الطب على المسلمين، ثم عاد إلى ساليرنو، وأمضى بقية عمره في الدير البنيديكتي في "مونت كاسبينو" يترجم الأعمال الطبية التي إلى اللغة اللاتينية، من بينها "الموجز في الطب" للطبيب المسلم العراقي علي بن عباس (واط، 2016، الصفحات 110-111).

خاتمة

لا نبالغ إذا ما قلنا أن تفصيل هذه الحركة العلمية يحتاج إلى أن يُجسد في مشروع بحث طويل يُدون في موسوعة علمية تأتي على كل شيء، فما ذكره المؤلفون في ذلك يملأ العديد من الصفحات، مثل: ابن النديم والقفطي، وابن جليل، وصاعد الأندلسي، وابن أبي أصيبعة، وحاجي خليفة، وحنين بن إسحاق ذاته والجاحظ وغيرهم كثير، لهو دليل على براعة المسلمين في نقل التراث العلمي من الحضارات السابقة إلى اللغة العربية. فقد عمل المترجمون المسلمون في بيت الحكمة البغدادي على ترجمة مختلف الكتب العلمية المهمة للشعوب الأخرى، وركزوا على كتب الحكمة التي تشكل: الفلسفة والفلك والرياضيات والطب ومختلف العلوم العقلية الأخرى، نظرا للإحساس بالوعي بأنهم متأخرون في تلك المجالات.

لم يكتفي المترجمون المسلمون في بيت الحكمة بنقل الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، فنقلوها كانت إما من اللغات الأخرى كالفارسية والفهلوية والسريانية والإغريقية إلى اللغة العربية أو العكس صحيح.

لم يعمل المترجمون على عملية النقل من اللغات الأخرى إلى العربية فقط لمجرد النقل، بل كانوا يقدمون شروحات مهمة على المخطوطات والكتب المراد ترجمتها، مثل التنبيه إلى النقص أو التزييف والتزوير الذي يطال الكتب عادة، ويفضحون المزورين، كما كانوا ينبهون إلى النسخ الخطية النادرة والمفقودة، وفي الكثير من المرات يشيرون إلى وجود نسخ كثيرة للكتب المراد ترجمتها مع توضيح الاختلافات بينها، وهو منهج علمي رصين انتهجه المترجمون في بيت الحكمة، مما زاد في مصداقيتهم ومصداقية ما يُترجمون.

عمل المسلمون بعد ترجمة الكتب وتفسيرها وتبسيطها، وإبداء آرائهم عليها، بتحويل العلم النظري الموجود في تلك الكتب إلى عمل في الواقع، فصنعوا آلات الرصد، وأنشأوا المراصد أهمها المرصدان اللذين أمر المأمون بإنشائهما، الأول في الشَّامَاسية ببغداد، والثاني بسفح جبل قاسيون بدمشق، وجُهِزَا بآلات دقيقة رصدوا بها الكواكب السيارة ودَوَّنُوا ملاحظاتهم الدقيقة في كتب وأصبحت تُعرف بالزيج. كما عمل المسلمون على تطوير مجال الطب والرياضيات والهندسة والجغرافية وعلوم أخرى فتحسنت أحوالهم المعيشية وبناهم القاعدة.

كان المترجمون في بيت الحكمة يراجعون ما ترجموه في كل فترة، خاصة إذا كانت ترجماتهم في بداية عملهم بمهنة الترجمة، فيكتشفون أخطاء كثيرة ارتكبوها وهم بدايات عملهم وقد عركتهم الأيام وزادتهم خبرة وفطنة فيتراجعون ويصححون أخطاءهم السابقة. مثلاً كان يفعل حنين بن إسحاق.

لقد بُذلت جهود كثيرة للحصول على الكتب المراد ترجمتها، واختلفت الطرق بين، بذل المال للحصول على المخطوطة، أو إرسال البعثات العلمية أو عن طريق الرحلات، أو عن طريق المعاهدات خاصة التي كانت تُعقد مع الإمبراطورية البيزنطية، وبين وسيلة البحث الفردي لبعض العلماء والأسر، وفي كل ذلك كانت ترصد مبالغ كبيرة للحصول على المخطوطات النادرة والكنوز الدفينة في رفوف المكتبات القديمة.

طور المترجمون في بيت الحكمة من طريقة النقل وترجمة الكتاب، فبعدما اتضح لهم بأن طريقة نقل المفردة أو الكلمة لما يقابلها في اللغة الأخرى غير مجدية وبها عيوب كثيرة استبدلوها بطريقة أكثر دقة منها وهي نقل المعنى إلى ما يقابله في اللغة الأخرى. وقد تُرجمت بها أغلب الكتب.

إن حركة ترجمة للكتب القديمة لا تُنسب جهودها لبعض الخلفاء فقط بل يعود نشاطها أيضاً إلى اهتمام بعض الأسر والعلماء أنفسهم بترجمة الكتب، منهم: الإخوة شاعر، والعلماء مثل: يعي بن البطريق، وجرجس بن جبريل، ويحنا بن ماسويه، وحبيش الأعصم واسطفان بن باسيل وموسى بن أبي خالد ويعي بن هارون، وأعمال حنين بن إسحاق.

كانت مدرسة حنين بن إسحاق تقوم بدور التعليم والتأهيل العلمي للمترجمين، فنحن أمام تأهيل سريع يستطيع من خلاله مترجمون جدد أو مبتدؤون اكتساب تقنية الترجمة والتأهيل الغوي من خلال الاحتكاك بالمحترفين.

الشيء الملاحظ على عملية النقل والترجمة أنها اغفلت أو تغافلت عن ترجمة الكتب السياسية التي أنتجت تجارب اليونان ككتاب "السياسة/الجمهورية" لأفلاطون، وكتاب السياسة لسقراط. وكتاب "سر الأسرار" واسمه الحقيقي "السياسة في تدبير الرئاسة" للأرسطو. وهذا التوجه من الدولة العباسية لديه مبرر لأن نقل التراث السياسي منه يتعارض مع توجهها السياسي الوراثي. فقد كانت المبادئ السياسية اليونانية المتمثلة في الديمقراطية التي كتب عنها سقراط وأفلاطون أقرب إلى المبادئ التي جاءت بها دولة المدينة والخلفاء الراشدون، وكانت المبادئ الحكم السياسي الذي تبنته الدولة العباسية ينتمي إلى نفس المبادئ السياسية الشرقية المستبدة وعلى رأسها الدولة الساسانية.

تفطن ابن خلدون إلى ملاحظة مهمة بعد الجدل الكبير الذي حصل حول قضية "إن كان الإسلام أقرب إلى المبادئ السياسية الشرقية المستبدة أم إلى المبادئ السياسية الغربية المتمثلة في الديمقراطية والشورى"، فحسم المسألة بأن الإسلام أقرب إلى المبادئ الغربية اليونانية وأن القاربة في القيم السياسية بين عالم الإسلام وعالم الغرب القديم ويتمثل ذلك في أن لكلا العالمين تاريخاً من الحرية السياسية لا وجود له في تاريخ الشرقي القديم، وقد انتبه ابن خلدون لذلك، فوصف الديمقراطية الرومانية بأنها الشورى الإسلامية.

ولكن للأسف ومن خلال صراع مبادئ الديمقراطية اليونانية والشورى الإسلامية مع كل من الطغيان والملك والاستبداد الشرقي نصل إلى نتيجة مهمة وهي تَعَلُّب الطغيان والاستبداد والملك على الشورى والديمقراطية والحكم للشعب في كلا التجريبتين اليونانية والإسلامية. أغلب الكتب اليونانية المترجمة في بيت الحكمة عادت إلى الغرب عن طريق مدرسة طليطلة بالأندلس ومدرسة صقلية وإيطاليا، وأغلب الناشطين في عملية النقل هذه هم إما يهود صرح أو يهود متنصرين، وقد عرف الغرب كتب اليونان القديمة مجدداً عن طريق أكبر مفكر مسلم وهو ابن رشد، الذي يُعتبر من القلائل الذين اهتموا جدياً بكتب السياسة اليونانية وشذ عن كتب الأحكام السلطانية، حيث قام ما بين 586 و589هـ بتأليف كتاب سماه "الضروري في السياسة" لخص فيه كتاب "السياسة/الجمهورية" لأفلاطون. وتكمن عبقرية ابن رشد في أنه:

- شكل قطيعة مع كل من الفارابي وابن سينا والكتاب السابقين، لكونه لم يعمل على التوفيق بين الدين والفلسفة بدمج الدين في الفلسفة كما فعل الفيلسوفان المشرقيان، بل عمل بالعكس من ذلك على الفصل بينهما، حيث رأى للدين مبادئ وأصولاً خاصة، وأن للفلسفة كذلك مبادئ وأصولاً خاصة، الشيء الذي ينتج عنه حتماً اختلاف البناء الديني عن البناء الفلسفي، ولذلك كان من غير المشروع في نظره دمج أجزاء من هذا البناء في البناء الآخر أو قراءة أجزاء من هذا البناء بواسطة أجزاء من ذلك، فالنتيجة ستكون لا محال تشويه تلك الأجزاء والتشويش على البنائين معا.

-لقد أحدث ابن رشد قطيعة مع الأفكار التي جاء بها الفارابي في السياسة والمدينة الفاضلة، ليدشن خطاباً جديداً في العلم المدني(السياسة)، يواجه السياسة بموقف سياسي صريح وشجاع، ولا شك أن هذا النوع الجديد من الخطاب والسبب الحقيقي في نكبته، لأنه مارس فيه نقداً صريحاً وجريئاً للحكم في عصره، متجاوزاً الأمثلة التي ساقها أفلاطون عن زمانه ليعطي هو أمثلة أخرى معاصرة له، وبذلك سيجد القارئ العربي لأول مرة في تراثه المتراكم عبر خمسة عشر قرناً خطاباً سياسياً يواجه السياسة مواجهة صريحة مسلحة بالعلم والفلسفة، ويندد بجميع أشكال التسلط والاستبداد، ويؤمن بالتقدم وينشد الإصلاح في الحكم والسياسة كما نشده في مجال العقيدة الدينية والعلم والفلسفة. وهذا ما كان يريده المترجمون في طليطلة وهو محاولة ضرب استبداد الكنيسة والملوك بفكر أفلاطون الذي ترجمه ابن رشد.

-الكتاب ذو خصوصية متميزة تجعل منه وجهاً آخر من وجوه المشروع المتعدد الأوجه الذي كان يتحرك فيه ابن رشد بوعي وتصميم، مشروع الإصلاح الديني والفلسفي والعلمي، فقد أخبرنا أن ما كتب في الشريعة والعقيدة، من "بداية المجتهد" إلى "فصل المقال" إلى "الكشف عن مناهج الأدلة" إلى "تهافت التهافت" وما كان ينوي أن يكتب في هذا المجال ولم يممه الأجل المحتوم، كان يدخل في إطار ما عبر عنه بـ"تصحیح عقائد شریعتنا مما داخلها من التغير"، كما عبر بصراحة ووضوح عن نيته في القيام بإصلاح النظام الفلكي البطليموسي، ليجعله أكثر توافقاً مع معطيات "العلم الطبيعي" في عصره، ولكن الأشغال الأخرى لم تسمح له بذلك ولم يممه الأجل ليتفرغ له، وأتم المهمة تلميذه البطروجي.

-يمكن القول بأنه لم يبدأ التعامل مع آراء أرسطو وجمهورية أفلاطون كما هي إلا مع ابن رشد، أما قبل ذلك سواء في الإسلام أو قبله، فقد كانت الظاهرة الغالبة هي المزج بين أفكار الرجلين.

6. قائمة المراجع:

1. ابن إسحاق، ح. (1959). رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي دانشگاه تهران.
2. ابن كثير، ع. ا. (1990). البداية والنهاية (Vol. 10). لبنان: منشورات مكتبة المعارف.

3. التميمي، ح. ق. (2011). بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الإسلامي. المملكة الأردنية الهاشمية: زهران للنشر.
4. الجاحظ، أ. ع. (1965). كتاب الحيوان. (Vol. 1) مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده.
5. الدروبي، س. (2007م). الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي. المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
6. الصفدي، ص. أ. (1888م). الغيث المسجم في شرح لامية العجم. (Vol. 1 ج. 1). مصر: مطبعة الأزهرية المصرية.
7. الطبري، أ. ج. (1969). تاريخ الرسل والملوك. (éd. ط. 2, Vol. 7 ج. 7). مصر: دار المعارف.
8. القرمانى، أ. ب. (1996). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. بيروت: عالم الكتب.
9. المنان، ر. إ. (2009). بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية (656-132هـ / 1358-754م). الخرطوم: جامعة الخرطوم.
10. النديم، أ. أ. (1971م). الفهرست، في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم. (Vol. 7 ج. 7). طهران: حقوق الطبع محفوظة للمحقق.
11. بانثيا، آ. ج. (1955). تاريخ الفكر الأندلسي. (ح. مؤنس. Éd.), القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
12. خضر أحمد، ع. أ. (2013). بيت الحكمة في عصر العباسيين. القاهرة: دار الفكر العربي.
13. صاعد، أ. أ. (1912). طبقات الأمم. بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.
14. طقوش، م. س. (2009). تاريخ الدولة العباسية. بيروت: دار النفائس.
15. عباس، م. (2006, 03 01). الترجمة في العصور الوسطى. مجلة حوليات التراث، العدد 5، p. 5، العدد 5.
16. كار، م. س. (1998). الترجمة في العصر العباسي مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة. (ن. غزاوي Trad.)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
17. واط، و. م. (2016). تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى. (س. إ. الذيب Éd.)، بيروت: جسور للترجمة والنشر.
18. يونغ، ل. (1979). العرب وأوروبا. (م. أزرو Trad.)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

السيرة الذاتية للمؤلف

أحمد جلايلي (AHMED DJELAILI)، أستاذ التعليم العالي بجامعة أحمد دراية – أدرار -، في تخصص: التاريخ الوسيط، التخصص الدقيق: العالم الإسلامي وقارة آسيا (في العصر الوسيط)، رئيس اللجنة العلمية لقسم التاريخ والآثار من 2023/12/04م إلى غاية اليوم، ومسؤول فريق شعبة التكوين لقسم التاريخ والآثار من 2024/06/05م إلى غاية اليوم، ولديه عدة منشورات علمية في تخصص تاريخ المشرق الإسلامي وآسيا الوسطى.